

دار الطباعة والنشر الإسلامية
المركز الإسلامي للدراسات والبحوث



دكتور

أحمد عبد الحميد غراب

نحو
جيل مسلم

الإسلام والعلم

١٧٢٠

الإسلام والعلم

مقارنة بين مفهوم العلم الحديث

ومفهوم العلم في الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف
الخلق أجمعين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن دعا
بذعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد قام الإسلام منذ بزغ فجره على احترام العقل
والدعوة إلى النظر والتأمل في الأنفس وفي الآفاق .
وفي ملكوت السموات والأرض ، ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١٠١ يونس) ، ﴿ قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكْذِبِينَ ﴾ (الأنعام ١١) . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ وإلى جوار ذلك الإشادة بالعلم

والعلماء : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

يقول : أستاذنا الشهيد حسن البنا في رسالة دعوتنا
في طور جديد ...

« الإسلام الحنيف ألزم العقل البشري لونا من ألوان التفكير . هو أكملها وأتمها وأشملها وأكثرها انطباقاً على واقع الحياة ، ومنطق الكون ، وأعظمها نفعاً لبنى الإنسان . ذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل ، فنحن نعيش في عالمين فعلاً لا في عالم واحد ، ونحن عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلاً . عاجزون عن إدراك كل الحقائق الأولية التي تحيط بنا ، ونحن في إدراكنا ننقل من مجهول إلى مجهول . حتى ينتهي بنا العجز إلى الإقرار بعظمة الله ، ونحن نشعر في أعماق قلوبنا بعاطفة الإيمان مشوبة ، لأن الإيمان من فطرة نفوسنا ، وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء والهواء والماء للأجسام سواء بسواء ، ونحن بعد ذلك نؤمن أن هذا المجتمع الإنساني

لن يصلحه إلا اعتقاد روى يبعث في النفوس مراقبة
 الله والاعتزاز بمعرفته ، ومن هنا كان لزاماً على الناس
 أن يعودوا إلى الإيمان بالله وبالنبوات وبالروح وبالحياة
 الآخرة وبالجزاء فيها على الأعمال ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
 ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ كل
 هذا في الوقت الذي يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم
 العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف . وتسخر هذه
 المادة الصماء وتتفع بما في الوجود من خيرات ومبرات
 ﴿ وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وإلى هذا اللون من التفكير
 الذي يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية ندعو الناس
 لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادي النزعة لا يشعر
 بغير المادة ولا يعترف بغير المادة ولا يحس بوجود
 غيرها حتى ماتت في نفوس أبنائه عواطف الرحمة
 والإنسانية ﴿ .

والإسلام يرفض التسليم بما ذهب إليه الفلاسفة من
 القول بتقسيم البشرية إلى أطوار ثلاثة البدائي ،
 والديني ، والعلمي ، الذي انتهت إليه وهو غاية

المطاف ، كما يرفض العداء التقليدي بين الدين والعلم . وهو عداء نشأ في غير بلاد الإسلام بين الكنيسة والعلماء . لقد حجرت الكنيسة على الأفكار وعارضت العلم . وتبنت نظريات علمية قديمة أضفت عليها القداسة والعصمة ، وحاربت هناك كل من انتهى بحته إلى مخالفتها ورمته بالزندقة والإلحاد .. ثم حاول المقلدون في الشرق الإسلامي أن يلصقوها بالإسلام .

يقول الأستاذ الشهيد سيد قطب رداً على هؤلاء :

« من أين جاء هؤلاء الناس بهذه النظريات الغريبة على طبيعة الإسلام ؟ وعلى تاريخ الإسلام .. لقد استوردوها — هي الأخرى — كما يستوردون كل شيء . من خلف السهول ومن وراء البحار ..

ذلك أن قصة العزلة بين الدين والدنيا لم تثبت في العالم الإسلامي ولم يعرفها الإسلام ... وقصة تخدير الدين للمشاعر لم تكن يوماً وليدة هذا الدين . ولم

تعرفها طبيعته .. ولكنهم يتلقفونها تلقفاً كالبيغاء
ويحاكونها محاكاة كالقردة ، ولا يحاولون أن يفتشوا
عن أصلها ونشأتها ، ولا أن يعرفوا مصدرها
وموردها . »

إن موقف الإسلام من العلم والتخطيط والتنظيم
واضح .. فقد أشار القرآن إلى :

١ - التخطيط :

استخدام التخطيط في السياسة الاقتصادية
للدولة ، كما هو واضح من قصة سيدنا يوسف عليه
السلام ، وكيف أنقذ أمة من الجوع والهلاك في وقت
الجدب والشدة بما ادخره لها ، وليس التخطيط
والتدبير منافياً لعقيدة الإيمان كما يتوهم البعض « اعقلها
وتوكل » .

٢ - الإحصاء :

فقد استخدم الرسول ﷺ الإحصاء . فقد روى

البخارى أنه صلى الله عليه وآله بعد الهجرة أمر بعض أصحابه أن يحصوا له عدد المسلمين بالمدينة الذين يلفظون بالإسلام فكان عددهم خمسمائة وألفاً .

٣ — الانتفاع بالخبرات :

تشجيع أخذ النافع من الغير في الأمور التي لا تتعلق بالعقيدة أو التشريع أو القيم والآداب ، فقد أخذ صلى الله عليه وآله برأى سلمان الفارسي رضي الله عنه في حفر الخندق حول المدينة مع أنه من أساليب الفرس ودائماً « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها » .

لقد حمل المسلمون لواء الحضارة قروناً عديدة .. فأفكار الحسن بن الهيثم في علم — البصريات — عاشت في أوروبا إلى زمن قريب منا ، وأبحاث — الطوسي — في الرياضيات . بقيت زمناً طويلاً يتناولها علماء أوروبا ، وكتاب ابن سينا — القانون ..

بقى المرجع الأساسى لكليات الطب فى أوربا حتى القرن السابع عشر .

يقول الدكتور النشار :

« إن المسلمين قد وضعوا المنهج العلمى بجميع عناصره ، وكانت الأندلس هى المعبر الذى انتقل منهجهم خلاله من العالم الإسلامى إلى أوربا » .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى :

« لا مجال فى الإسلام لدعوى التعارض أو العداوة بين الدين والعلم ، فالدين فى الإسلام علم ، والعلم فيه دين ، كما تشهد بذلك أصول الإسلام وتاريخه جميعاً ، وهذه حقيقة شهدها وشهد بها كثير من الباحثين والمؤرخين الغربيين » .

يقول العلامة : هورتن

« فى الإسلام وحده نجد اتحاد الدين والعلم ، فهو الدين الوحيد الذى يوحد بينهما ، فنجد فيه الدين

مائلاً متمكناً في دائرة العلم ، ونرى وجهة الفلسفة
ووجهة العلم متعانقتين فهما واحدة لا اثنتان .

ويقول : إيتان دينيه ..

« إن العقيدة الإسلامية لا تقف عقبة في سبيل
الفكر ، فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت
نفسه حر التفكير . ولا تقتضى حرية الفكر أن يكون
المرء منكراً لله . لقد رفع محمد ﷺ قدر العلم إلى
أعظم الدرجات ، وجعله من أول واجبات المسلم ،
ويقول : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم
الشهداء » .

والمركز الإسلامي للدراسات والبحوث حين يقدم
هذه الرسالة مفهوم العلم في الإسلام إنما يساهم في
تبديد وتوضيح ما يتوهمه البعض من أن هناك عزلة بين
الدين والحياة أو بين الدين والعلم .. فكل هذه
التصورات لا وجود لها في الإسلام بل هي غريبة
ومستوردة لها ظروفها التاريخية في الغرب ، وطبيعة

الإسلام وظروفه وتاريخه لا دخل لها في شيء من هذا
وترفضها كلية .

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ، وأن يهدينا
سواء السبيل .

المركز الإسلامي للدراسات والبحوث

محمد عبد الله الخطيب

مفهوم العلم في الإسلام يختلف عن مفهوم العلم في الغرب

فهذا العلم الأخير علم مادي في موضوعه وفي منهجه
وفي هدفه .

أما في موضوعه فهو يقتصر على دراسة الظواهر
المادية التي تدرك أو يمكن أن تدرك بالحس .

وأما في منهجه فهو يستخدم في دراسة هذه الظواهر
المنهج المسمى بالمنهج التجريبي The Enpirical Method
وهذا المنهج يقوم على وسيلتين أساسيتين وهما . الملاحظة
والتجربة . وهما وسيلتان تعتمدان أساساً على الحس في
جمع المعلومات عن الظواهر المادية . صحيح أن العقل
يتدخل ولا سيما بعد مرحلة جمع المعلومات ، ويقوم
بتصنيف هذه المعلومات وتفسيرها . ولكن تدخله

لا يتعدى نطاق هذه المعلومات التي جمعت عن طريق
الحس .

وأما في هدفه فهو كذلك هدف مادي ، وهو
استخدام كل ما تكتشفه العلوم عن طريق هذا المنهج في
تقدم الإنسان تقدماً مادياً في جوهره . أى تقدماً في
مستوى الحياة المادية بمختلف جوانبها ، بغض النظر عما
إذا كان هذا التقدم المادي مصحوباً أم غير مصحوب
بتقدم عقائدي وأخلاقي وفكري في نفس الوقت ، أى
تقدماً إنسانياً متكاملأ ، كما ينبغي أن يكون تقدم
الإنسان .

وحتى هذا التقدم المادي لا تستفيد منه الإنسانية
كلها على السواء ، فالواقع أن الشعوب الغربية هي التي
تحظى منه بنصيب الأسد ، وذلك بحكم عنصريتها من
ناحية ، وتحكمها في توجيه العلم والتكنولوجيا من ناحية
أخرى ، ولذلك نراها تنعم بمعظم مظاهر هذا التقدم من
ثروة وقوة ، بينما تترك للشعوب الأخرى الفتات الذي
لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وهو ذلك « الفتات »

العلمى والتكنولوجى الذى يقتصر على مظاهر الترف
والانحلال الخلقى والإقبال على منتجات الغرب
الاستهلاكية دون المقدرة على إنتاج مثلها .

وقد أدى هذا المفهوم المادى للعلم الحديث إلى نتائج
بعيدة المدى فى حياة الإنسانية المعاصرة وبعض هذه
النتائج يمكن أن توصف بأنها نتائج طيبة ونافعة ، ولكن
الكثير منها لا يمكن أن توصف إلا بأنها نتائج وخيمة
وضارة .

فمن النتائج الطيبة التى لا يمكن إنكارها تلك
الإجازات الباهرة التى حققها العلم الحديث ، والتى
أدت إلى تقدم مادى واضح فى ميادين كثيرة ، ولا سيما
فى ميادين الصناعة والاقتصاد والطب والعلوم التطبيقية
والتكنولوجيا بوجه عام .

ولكن إلى جانب هذه النتائج الطيبة نتائج أخرى
خبیثة ، ترتبت ترتباً حتمياً على النظرة المادية العنصرية
الضيقة للعلم الحديث ومن أهم هذه النتائج ما يلي :

١ - أن العلم الحديث يغفل حقيقة هامة وهي أن الإنسان ليس مادة فحسب ، وإنما هو مادة وروح ، وليس جسماً فقط ، وإنما هو جسم وعقل وضمير ، وقد ترتب على هذا أنه بينما يتقدم الإنسان تقدماً مادياً يتأخر في الوقت نفسه في القيم الروحية والأخلاقية . فمن أجل التسابق والسبق في الرخاء المادى يضحى الإنسان في كثير من الأحيان بالأخلاق الكريمة والمثل العليا ، وبالصدق والحق والشرف والعدالة ، ويضعف روحه من أجل متعة جسده ، ويقتل ضميره من أجل أن يشبع بطنه وفرجه .

٢ - لقد أدى التقدم الغربى فى العلوم والتكنولوجيا إلى الزعم القائل بتفوق الشعوب الغربية على غيرها من الشعوب ، وهذا الزعم قد أدى بدوره إلى استعمال الغرب لمنجزاته العلمية والتكنولوجية فى استعمار الشعوب الضعيفة واستغلال مواردها وثرواتها ، والسيطرة ليس على إمكانياتها الاقتصادية فحسب ، بل وعلى نظمها السياسية والاجتماعية والتربوية ، وتوجيهها

توجيهاً يرضى تعصبه العنصرى من ناحية ، ويخدم مصالحه ومطامعه الاقتصادية من ناحية أخرى .

٣ - وقد أدت هذه العنصرية فى العلم إلى احتكار كثير من المعلومات والمكتشفات الهامة فى العلوم والتكنولوجيا ، وقصر المعرفة بها والاستفادة منها على الشعوب الغربية ، ومنعها بكل وسيلة عن الشعوب الضعيفة ، وذلك بهدف إبقاء هذه الشعوب عاجزة عن منافسة الغرب ، ومن ثم دائمة الاعتماد عليه .

٤ - وقد أدت السيطرة الاستعمارية على الشعوب الإسلامية بوجه خاص ولا سيما على أجهزة الإعلام والتربية والثقافة إلى توجيه هذه الشعوب الإسلامية توجيهاً لا إسلامياً ولا أخلاقياً ، وهذا التوجيه المخطط يعصف بأخلاق الإسلام وقيمه كما يعصف بتعاليمه وشرائعه ، كما يهدم تراثه وثقافته ، وكل ما يكون شخصية المجتمع المسلم .

٥ - أدى الاتجاه المادى فى العلم الحديث إلى شيوع

العلمانية والإلحاد وإلى إنكار وجود الله واليوم الآخر
والجزاء والحساب والوحى والروح ، وكل ما يتصل بعالم
الغيب من قريب أو بعيد . وأطلق العلمانيون والملاحدة
كثيراً من أوصاف السخرية والاستهزاء على العقلية
المؤمنة ، مثل وصفها بالعقلية « اللاعلمية » أو العقلية
« الغيبية » أو « الرجعية » بينما وصفوا مذاهب الكفر
والإلحاد مثل الشيوعية والوجودية بأنها مذاهب
« علمية » و « تقدمية » .

٦ — أدت هذه المادية العنصرية فى العلم الحديث إلى
اشتداد حدة الصراع بين شعوب العالم « ولا سيما بين
الشعوب التى أحرزت أكبر تقدم فى العلم
والتكنولوجيا » وإلى سباق التسلح بينها ، وإلى كثرة
الحروب الحديثة وهولها ، وذلك لتنوع ما يستخدم فيها
من أسلحة « علمية » للإبادة الجماعية ، وإهلاك الحرث
والنسل ، إلى جانب وسائل أخرى — علمية
كذلك ! — اخترعت لتعذيب الإنسان على يد أخيه
الإنسان تعذيباً « علمياً » لم يسبق له مثيل فى الوحشية

٧ - أدت الآلية التي يتصف بها العلم الحديث إلى ضعف الناحية الإنسانية بوجه عام ، وإلى استعباد الإنسان للآلة ، وإلى عجز في الإبداع الروحي ، وإلى التضحية بجزية الإنسان وكرامته وحقوقه في كثير من بلاد العالم الذي يصف نفسه بأنه متقدم ومتحضر ... فخوت روح الإنسان الحديث بوجه عام من معاني الخير ، وانطفأ فيها نور الحق ، وغاض معين الرحمة في قلوب الناس .

مفهوم العلم في الإسلام :

يتضح مفهوم العلم في الإسلام بالرجوع إلى القرآن الكريم . ففي القرآن آيات تكاد لا تحصى كثيرة تشير إلى العلم وما يرتبط به من ظواهر . وبين هذه الآيات تشابك وثيق وترابط يؤلف منها وحدة متكاملة ، ومع ذلك يمكن - توضيحاً للموضوع - تقسيمها إلى ستة أنواع رئيسية كما يلي :

أولاً — آيات تدعو بوجه عام إلى تحرير العقل
البشرى من كل حاجز يحول دون اكتشاف الحقيقة .
ومن أهم هذه الحواجز التى دعا القرآن إلى إزالتها
ما يلى .

١ — التقليد :

لأية سلطة من السلطات ، حتى الآباء والأجداد ،
أو سلطة التقاليد والعادات ، ولا سيما فيما يختص
بالعقيدة ، وذلك لأن الإيمان ينبغى أن يكون عن فهم
واقتناع ، لا عن تقليد أعمى لكائن من كان . وذلك
لأن المقلد يلغى عقله وتفكيره ، بل ويلغى شهادة
حواسه ، حين يرضخ لحكم غيره وبخاصة إذا كان هذا
الحكم قائماً على الجهل لا على العلم . ولذلك يقول الله
تعالى فى وصف الكافرين .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ
الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿ (المائدة / ٥ / ١٠٤) .

ولهذا السبب نفسه وصفهم القرآن الكريم بأنهم :

﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
(البقرة / ٢ / ١٧١) .

٢ - الظن :

هناك آيات تدعو إلى التخلي عن الظن ، وذلك لأنه ليس وسيلة موثوقاً بها لمعرفة الحقيقة . ومن هذه الآيات اتهام القرآن للمشركين بأن أكثرهم يتبعون الظن :
﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾
(يونس / ١٥ / ٣٦) . كما يطالبهم القرآن بتقديم الدليل اليقيني لا الظني على (جبريتهم) أى على اعتقادهم بأن الله أجبرهم على شركهم ، فيقول :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا
وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بِأَسْنَانَا . قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ
فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا تَحْرُصُونَ ﴿ (الأنعام / ٦ / ١٤٧) .

ويصف القرآن قوماً من الدهرية ينكرون الآخرة بأن
إنكارهم يقوم على الظن لا على العلم .

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِدَلِكٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . (الجاثية / ٤٥ / ٢٤) .

وينفى القرآن صلب المسيح ويطعن من يقولون
بالصلب بأنهم : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ
الظَّنِّ ﴾ (النساء / ٤ / ١٥٧) .

٣ - الهوى :

نهى القرآن كثيراً عن اتباع الهوى ، وذلك لأسباب
عديدة من أهمها أن اتباع الهوى يضل الإنسان عن الحق
وعن العلم ، ويكفى أن نقرأ هذه الآيات :

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾
(الروم : ٢٩ / ٣٠) .

﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (ص ٣٨ / ٤٦) .

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (المؤمنون / ٢٣ / ٧١) .

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات / ٧٩ / ٤) .

ونعى القرآن على المشركين أنهم يتبعون الظن والهوى
معاً ويرفضون الهدى : ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾
(النجم / ٥٣ / ٢٣) .

٤ - السحر :

السحر نوع من الشعوذة يحاول بها الساحر أن يؤثر

في بعض قوانين الطبيعة ولذلك نهى القرآن الكريم عن تعلم السحر ، ونهى على من يتعلمونه لأنهم :

﴿ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾
(البقرة / ٢ / ١٠٢) .

ولهذا يفشل السحر حيث ينجح الحق ، والعلم ، فالسحر يقوم على وسائل مصطنعة من باب الكيد ، ولذلك وصف القرآن ما صنع سحرة فرعون بأنه :

﴿ كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾
(طه / ٢٠ / ٦٩) .

ومن ثم أنذرهم موسى بأن سحرهم سيفشل وينتصر عليه الحق :

﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ (يونس / ١٠ / ٨١ / ٨٢) .

٥ - المعجزات الحسية :

لعل من أهم الدلائل على اتجاه الإسلام إلى تكريم العقل والعلم أن الله تبارك وتعالى لم يشأ أن يؤيد رسوله ﷺ بتلك المعجزات الحسية التي طالبه الكفار بالإتيان بها فحسب مثل : أن يفجر لهم ينبوعاً ، أو تكون له جنة ذات أنهار ، أو يسقط عليهم السماء ، أو يصعد إليها ويأتى بكتاب يقرأونه وقد أمر الرسول ﷺ أن يرد عليهم رداً يؤكد فيه أنه بشر رسول :

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾

(الإسراء / ١٧ / ٩٠ / ٩٣) .

أى أنه ليس من مهمته الإتيان بتلك الخوارق التي لا تدخل في نطاق رسالته ، ولا ترتبط بوسائلها ولا أهدافها ، فهي رسالة هداية ربانية تكرم عقل الإنسان وتخطب فكره ووجدانه ، وتدعوه إلى فهم قوانين الكون لا محاولة خرقها .. ولهذا السبب أيضاً استبعد القرآن الكريم من مهمة الرسول الإخبار

بالمستقبل أو ادعاء علم الغيب كما يفعل الكهنة
والمنجمون والعرافون إلا ما يريد الله تعالى أن يعرفه
إياه :

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى
إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾
(الأنعام / ٦ / ٥٠) .

٦ - الإكراه :

إن مفهوم « الدين » في القرآن الكريم — كما هو
معروف — لا ينطبق على العقيدة والعبادة وحدهما ،
وإنما ينطبق على الإسلام كنظام شامل متكامل للحياة
الإنسانية بجميع جوانبها ومنها الجانب الثقافي والفكري ،
وتدخل في هذا الجانب العلوم بكل أنواعها .

وإذا فهمنا « الدين » بهذا المعنى الشامل فإن المبدأ
الإسلامي العظيم مبدأ ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

(البقرة / ٢ / ٢٥٦) لا يقرر حرية العقيدة وحدها ، وإنما يقرر حرية واسعة للإنسان في أن يختار نظام الحياة الذى يفضله ، ولا شك أن هذا يشمل تقرير حرية الفكر للإنسان ، فإنه لا يمكن أن تتحقق حرية الاختيار بدون حرية التفكير .

وإذا أضفنا إلى هذا أن اعتناق الإسلام نفسه — كما سبق — لا يقوم على التقليد ، وإنما يقوم على التفكير والاقناع ، تبين لنا أن الإسلام يعترض — بل يشترط — الحرية الفكرية بين أتباعه ، ولذلك جعل حياة المؤمنين بجميع مستوياتها السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية قائمة على الشورى لا على الدكتاتورية .

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾

(الشورى ٤٢ / ٣٨) .

ولا يكفي من المسلم أن يعتنق الإسلام عن تفكير واقناع ، بل يطالبه القرآن — وقد أتاح له الحرية الفكرية والسياسية والاجتماعية — ألا يكف عن أن

يستعمل عقله وتفكيره في توثيق صلته بربه ، ليس عن طريق العبادة فحسب ، بل وكذلك عن طريق العلم ، أى عن طريق التفكير والنظر في ملكوت السموات والأرض .

٧ - طبقة الكهنة ورجال الدين :

ولأجل أن يؤكد الإسلام هذه الحرية الفكرية والعلمية فقد أزال كل ما يعوق النشاط الفكرى والتقدم العلمى من طريق المؤمن .

ومع أن الإسلام يوصى بأن تكون هناك طائفة من المؤمنين يتفقهون في أمور دينهم ويعلمونها غيرهم كما جاء ذلك في سورة التوبة ١٢٢ .

إلا أنه لا يعطى لهذه الطبقة حقوقاً أو امتيازات تجعل منها طبقة اجتماعية أسمى من غيرها ، كما لا يمنحها سلطات دينية أو قانونية تتحكم بها في تفكير الناس وضمائرهم ، وتحاول أن تفرضها على نشاطهم العلمى

والفكرى ، كى لا تضطهد هذه الطبقة من يخالفها
ويخرج عليها من العلماء والمفكرين ، كما فعل رجال
الكنيسة مع العلماء فى أوربا فى القرون الوسطى .

ولا شك أن توفر الحرية والأخذ بمبدأ الشورى فى
المجتمع الإسلامى فى عصور ازدهاره قد أدى إلى تشجيع
الاجتهاد الفكرى والنشاط العلمى بين المسلمين ، وحال
دون وقوع أية اضطهادات وحشية كالتى ارتكبها رجال
الدين المسيحى ضد العلماء والمفكرين الأوربيين ، والتى
أدت إلى بغض هؤلاء لا لرجال الدين وحدهم بل للدين
نفسه ، كما أدت فيما بعد إلى فصل الدين المسيحى عن
شئون الدولة وكف يده عن شئون العلم والثقافة . وهذا
كله لا ينطبق على الإسلام ولا على تاريخ الإسلام .

٨ - الفساد :

هناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تشدد النهى عن
الفساد فى الأرض بأية صورة من الصور ، ويقترن ذكر
الفساد فى الأرض بأعمال كثيرة منها ما يلى :

أ - الإلتلاف المادى للحرث والنسل : أى التخريب لمصادر الثروة الإنسانية والزراعية كما ورد فى الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (البقرة / ٢ / ٢٠٥) .

ب - القتل وسفك الدماء : وما يتصل بذلك ويؤدى إليه ولا سيما طغيان الحكام كما ورد فى الآية الكريمة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (البقرة : ٢ / ٣) ووصف فرعون بأنه ﴿ مِنْ الْمُفْسِدِينَ ﴾ لأنه كان طاغية يسفك الدماء . (القصص / ٢٨ / ٤) .

ج - كل صور الفساد السياسى والخلقى والاجتماعى : كالجور فى الحكم والعلو فى الأرض والإسراف والفسق والظلم (راجع مثلاً آيات الأعراف ٧ / ٥٦ ، هود / ١١ / ٨٥ ، القصص / ٣٨ / ٨٣) .

د - الإسراف : ولا سيما فى استهلاك المواد

الغذائية ، وحياة الترف كقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا
 وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾
 (الأعراف / ٧ / ٣١) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُوا
 أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (الشعراء / ٢٦ / ١٥١) .

ويتضح من كل هذه الآيات أن استعمال العلم
 والتكنولوجيا في أى عمل من أعمال الفساد في الأرض
 (سواء أكان الفساد مادياً أو معنوياً أو خلقياً) محرم في
 الإسلام ، لأن كل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام .

ثانياً — آيات تدعو إلى التفكير والنظر في ظواهر
 الكون والإنسان :

بعد إزالة العوائق السابقة عن طريق النشاط الفكري
 والعلمي نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الناس
 إلى التفكير فيما خلق الله ، وإلى النظر في الظواهر
 الكونية والإنسانية ، أى ملاحظاتها ودراستها دراسة
 علمية ، لا من أجل استكشاف قوانينها واستكناه

أسرارها فحسب ، بل من أجل الاستفادة منها بوجه عام ، والاستفادة من الظواهر الكونية بوجه خاص ، لأنها مسخرة للإنسان (كما سنرى في النوع الثالث من الآيات) .

ولكن هذه الدراسة العلمية التطبيقية لا تقف عند هذا الحد من هذه الآيات ، بل لها أهداف أخرى أسمى وأعلى من مجرد استكشاف القوانين والاستفادة منها ، ومن أهم هذه الأهداف :

١ - أن يؤمن الإنسان بالله إيماناً لا يتزعزع ، وذلك عن طريق الربط بين نظام الخلق وعظمة الخالق .

٢ - أن يعترف الإنسان بنعم الله التي لا تحصى عليه ومن ثم يشكره عليها عن طريق استعمالها فيما خلقت له ، أى عن طريق الأعمال الصالحة .

والظواهر التي تتناولها هذه الآيات ظواهر عديدة ومتشابهة تشابك نظام الكون نفسه ، ومن ثم يصعب الفصل بينها ، ولكن يمكن أن نقول إنها تشمل خمسة

أنواع رئيسية من الظواهر وهي (١) :

أ - ظواهر فلكية : مثل الآيات التي تشير إلى خلق السموات والأرض وما بينهما ، وإلى مراحل هذا الخلق ، وإلى تعدد العوالم ، وإلى طبيعة الأجرام السماوية وتوازنها وإلى الشمس والقمر ومدارهما ، وإلى النجوم والكواكب وجمالها ومنافعها للإنسان .

ب - ظواهر أرضية (٢) : مثل الآيات التي تشير إلى خلق الله للأرض وتهيئته إياها لحياة الإنسان عليها ، ولا سيما بإيجاد الأرزاق فيها من حيوان ونبات

(١) راجع عن هذه الظواهر بالتفصيل كتاب العالم الفرنسي :

Maurice Bucaille The Bible , the Qur an and Science U - S - a -
1978 , pp - 11c - 210 .

وكتاب الأستاذ الدكتور سيد حسين نصر .

S . H . Naser : Islamic Science , An Illustrated Study . World of
Islam Festival Publications , 1976 , Parts 2 - 5 .

(٢) راجع : أحمد عبد الحميد غراب : مفهوم الأرض في القرآن .
محاضرة في ندوة الدراسات الإسلامية ٦ / ٣ / ١٩٧٨ .

ومعادن ، والآيات التي تشير إلى أهمية الماء على وجه الأرض ، وإلى أنه أصل الحياة عليها ، وإلى أثر الجبال بوجه خاص في استقرار الأرض وتوازنها ، وإلى مسالكها البرية والمائية ، وعلامات الهداية للإنسان في السفر والترحال في أنحاءها .

ج - ظواهر نباتية : مثل الآيات التي تشير إلى أثر المطر في الزرع ، وتناسل النبات وتنوع الثمرات ومنافعها وجمالها .

د - ظواهر حيوانية : مثل الآيات التي تشير إلى أنواع الحيوانات ومنافعها وجمالها ، وإلى وجود المجتمعات الحيوانية التي تشبه المجتمعات الإنسانية ، وإلى بعض تنظيمات النحل والنمل والطيور .

هـ - ظواهر إنسانية : مثل الآيات التي تشير إلى « الأسرة » الإنسانية ، وإلى طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وإلى تنوع المجتمعات واللغات والألوان والنشاطات الإنسانية وإلى خلق الإنسان بوجه عام ،

وتطور الجنين في الرحم بوجه خاص .

ثالثاً — آيات تدعو الإنسان إلى الاستفادة من ثروات الأرض وخيراتها .

مثل الآيات التالية : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ (البقرة / ٢ / ٢٩) .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾ . (الجاثية / ٤٥ / ١٣) .

﴿ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولاً فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ (الملك / ٦٧ / ١٥) .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ (الأعراف / ٧ / ١٠) .

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِماً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾ (النساء / ١٠٤) .

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾ (النحل / ٥١٦) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً ﴾

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَبْسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ
فِيهِ وَلْتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴿ (النحل / ١٦ / ١٤) .

وكذلك الآيات التي تحث على الضرب في الأرض
والانتشار فيها ابتغاء فضل الله « مثل : الآيات في سور
العنكبوت ٢٩ / ٥٦ ، والجمعة / ٦٢ / ٢٠ ،
والمزمل / ٧٣ / ٢٠) .

٤ — آيات تدعو إلى تدبر القرآن الكريم والعمل به .

بالإضافة إلى هذه الآيات التي تشير إلى ظواهر الكون
والإنسان وتدعو إلى تدبرها ودراستها والاستفادة منها
نجد آيات أخرى تدعو إلى تدبر القرآن الكريم ودراسته
باعتبار أنه « ظاهرة » ربانية من آثار قدرة الله ، وأن
آياته تشبه آيات الكون في إعجازها من جهة ، وفي
ضرورتها لسعادة الإنسان من جهة أخرى . ويكفي أن
نشير إلى الآيات التالية : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة / ٢ / ٢١٩)
﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿ ص ٣٨ / ٢٩ ﴾ ، ﴿ أَفَلَا
يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾
(محمد ٤٧ / ٢) ومن الواضح أن الهدف من تدبر
القرآن هو العمل به كما قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف / ٧ / ٣) .

٥ - آيات ترفع من قدر العلم والعلماء :

مثل قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ رَبِّيَ زِدْنِي عِلْمًا ﴾
(طه / ٢٠ / ١٢٤) .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدِينُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر ٣٩ / ٩) .

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة ٥٨ / ١١) .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
(فاطر / ٣٥ / ٢٨) .

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّئَلَّا يَعْقِلُهَا
إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت / ٢٩ / ٤٣) .

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة / ٢ / ٢٧٩) .

٦ — آيات تحذر الإنسان من الغرور بعلمه وعقله
وتنبه إلى وجود عالمين : عالم الغيب وعالم الشهادة ، وأن
حقائق العالم الأول لا يعلمها إلا الله :
مثل قوله تعالى :

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
(الإسراء / ١٧ / ٨٥) .

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾
(يوسف / ١٢ / ٧٦) .

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ
الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم / ٣٠ / ٧) .

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ

إِلَّا اللَّهُ ﴿ (التمل / ٢٧ / ٦٥) .

من خصائص العلم في الإسلام :

من دراسة الآيات السابقة بأنواعها الرئيسية الستة يمكن أن نستخلص بعض الخصائص العامة في الإسلام لمفهوم العلم ومن أهمها ما يلي :

١ - يرتبط بهذا المفهوم بمفهوم الإنسان وعلاقته بالله وحياته على الأرض : فالإنسان على هذه الأرض خليفة الله وعبده في آن واحد ، وهو يحيا عليها حياة محدودة إلى أجل مسمى ، ليحقق خلافته وعبوديته لله ، ومن ثم يحقق سعادته في الدنيا والآخرة .

٢ - وقد منح الله الإنسان وسائل عديدة تمكنه - إذا استعملها بحكمة - أن يحقق هذه السعادة في الدنيا والآخرة .

ومن أهم هذه الوسائل : العقل والحواس ، فهما من أهم وسائل المعرفة : المعرفة بهذا العالم المادي ، ثم

اتخاذ هذه المعرفة طريقاً إلى معرفة الله . ويرتبط هذان النوعان من المعرفة في الإسلام ارتباطاً وثيقاً .

فمن طريق دراسة الكون واستكناه أسراره واستكشاف قوانينه واستخدام ثرواته — ينبغي أن تزداد معرفة الإنسان بالله ، ويعظم إيمانه به ، وشكره له على نعمه التي لا تحصى . وهذه النعم تزيد معرفة الإنسان بها واستفادته منها عن طريق العلم .

٣ — وإلى جانب العقل والحواس أعطاه الله الوحي « الذى يتمثل صورته الصادقة والنهائية فى القرآن الكريم » ليرشده إلى طريق السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة ، وذلك بتعاليم لا يمكن لعقله وحسه وحدهما أن يصلا إليها . ومع هذا فهذه التعاليم تتفق مع العقل السليم والفترة المستقيمة .

٤ — وفى هذا الوحي نبه الله تبارك وتعالى إلى أن هذا العالم المادى الذى نعيش فيه ليس هو العالم الوحيد الموجود ، فهناك عالم آخر هو عالم الغيب . ومن ثم

طالب القرآن الإنسان إلى جانب الإيمان بالله أن يؤمن بعالم الغيب .

٥ - ومع أن حقائق عالم النيب لا يعلمها إلا الله فقد عرض الوحي منها ما تعد معرفته ضرورية لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وعرضها بصورة واضحة يقبلها كذلك العقل السليم والفطرة المستقيمة ومن أهمها حقائق الآخرة والجزاء والجنة والنار (١) .

ويترتب على هذا المفهوم المتكامل للعلم نتائج هامة منها ما يلي :

١ - أن العلم في الإسلام يربط الإنسان بالله . فالعلم لا يكون علماً حقيقياً إلا إذا أدى إلى الإيمان ، والإيمان لا يكون حقيقياً إلا إذا أدى إلى العمل الصالح .

٢ - أن العلم بهذا المفهوم يحرص على أن يكون

(١) راجع الإمام حسن البنا : بين العقلية الغيبية والعلمية في رسالته : « دعوتنا في طور جديد » ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد ط بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ص ٦٥ - ٦٨ .

القائم به وهو الإنسان متصفاً بصفات أخلاقية لا غنى عنها ليكون سلاح العلم في يده سلاحاً نافعاً له ولغيره من الناس . ولهذا نجد كثيراً من علماء المسلمين لا يكتبون في العلم وحده ، بل يكتبون كذلك عن الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها العالم . فنجد الكندي يكتب عن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها العالم الفيلسوف « ولا سيما العلم بالحق من أجل العمل به »^(١) ، ونجد أبا بكر الرازي يتحدث في بعض كتبه الطبية والفلسفية العديدة عن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب ودارس الطب « فيجب ألا يتخذ الطب مجرد وسيلة لجمع المال ، بل أن يتذكر أن أقرب الناس إلى الله هو : أعلمهم وأعدلهم وأرحمهم وأرأفهم بالناس »^(٢) . ونرى البيرونيلا العالم والجغرافي والمؤرخ

(١) راجع : « رسائل الكندي الفلسفية » تحقيق د / محمد عبد الهادي أبو ريذة القاهرة ١٩٥٠ ج ٢ .

(٢) راجع : رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي تحقيق كراوس القاهرة ١٩٣٩ ص ١٠٨ .

العظيم يكتب في مقدمة كتابه عن الهند : « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مردولة » عن أخلاق المؤرخ (١) ، وكذلك نجد العامري يتحدث عن أخلاق العلماء في مختلف فروع العلم (٢)

٣ - مفهوم العلم في الإسلام مفهوم إنساني ، ليست فيه تلك النزعة العنصرية التي نراها في العلم الحديث ، فهو يرتبط بالإسلام الذي يؤكد أن الناس سواسية ، ومن حقهم بل من واجبهم أن يشاركوا في النشاط العلمي ، وفي الاستفادة من منجزات هذا النشاط ، فلا ينبغي أن يحتكر العلم ومنجزاته جنس أو شعب بعينه . وهذا ما فعله المسلمون عندما كانوا السابقين في مجالات العلوم . فقد شارك في هذه المجالات علماء من كل الأجناس والشعوب الإسلامية ، ثم لم

(١) أبو الريحان البيهقي : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة نشره د / ساخاو لندن ١٨٨٧ المقدمة .
(٢) أبو الحسن العامري : كتاب الإعلام بمناقب الإسلام تحقيق أحمد عبد الحميد غراب القاهرة ١٩٦٧ ص ٤٠ .

يحتكروا إنجازاتهم العلمية للمسلمين وحدهم ، بل
أباحوها وأتاحوا دراستها والانتفاع بها لغير المسلمين ،
بل وأعداء المسلمين . ويكفى أن نشير إلى أن المسلمين
في الأندلس قد قدموا للمسيحيين الأوربيين — الذين
شنوا عليهم الحروب الصليبية — كل منجزاتهم العلمية .
ومن المعروف أن هذه المنجزات قد ترجمت من اللغة
العربية إلى اللغة اللاتينية ، ثم إلى اللغات الأوربية الأخرى
ولعبت دوراً فعالاً في التقدم العلمى في أوربا .

٤ — تتربط العلوم المختلفة في الإسلام بصلات
عديدة وثيقة تجعل منها وحدة متكاملة ، ومن ثم لا نجد
فيها ذلك التوتر الحاد الذى نجده اليوم — بتأثير الثقافة
العربية — بين علوم الدين وعلوم الدنيا . فكثير من
علمائنا المسلمين قد ألفوا في علوم الدين والدنيا معاً ،
فجمعوا بين دراسة الفلسفة والعلوم المادية والعلوم
الدينية ، أى جمعوا بين دراسة آيات القرآن ودراسة
آيات الكون . ومن هؤلاء كل فلاسفة الإسلام تقريباً .
فوجد الكندى يكتب في العلوم الرياضية والفلكية

والطبيعية كما يفسر القرآن ، ونجد لتلميذه أبو زيد أحمد ابن سهل البلخي مؤلفات لعبت دوراً رئيسياً في الجغرافيا وكونت مدرسة جغرافية مشهورة ، كما نجد له مؤلفات في علوم القرآن . ونجد لابن رشد مؤلفات في الفلسفة والطب وكذلك في الفقه الإسلامي والجمع بين الشريعة والحكمة . ولابن النفيس مؤلفات في الطب والسيرة وعلوم الحديث . ولهذا نستطيع أن نقول أن مؤلفات العلماء المسلمين تمثل بشكل واضح وحدة المعرفة الإنسانية .

٥ - هناك صلة وثيقة في الإسلام بين العلم والعمل ، ولهذا لا تدرس العلوم لذاتها ، وإنما تدرس لهدف الاستفادة منها وتطبيقها فيما ينفع الناس والإسلام لا يشجع التفكير النظري والتأمل الفلسفي في أبراج عاجية بعيداً عن المجتمع المسلم ومشاكله ، أو الدخول في مجادلات بيزنطية ومناظرات ومباحثات لفظية ، لا يترتب عليها عمل نافع ، بل قد تضر أكثر مما تنفع ، ولهذا اتجه علماء المسلمين بكل جهودهم إلى إنشاء

المؤسسات العديدة — كل حسب اختصاصه — في أنحاء العالم الإسلامي ، فأنشأوا المستشفيات الثابتة والميدانية والصيديات والطرق والجسور ووسائل البريد والمراصد الفلكية وصناعة السفن « التي تكون منها أسطول إسلامي قوى وبخاصة في البحر المتوسط والمحيط الهندي لعب دوراً فعالاً في الحرب والتجارة » هذا إلى وسائل الري وخزانات المياه وصناعات الورق والنسيج والمعادن المختلفة .

٦ — بهدى القرآن والإسلام كانت معظم الإنجازات العلمية والتكنولوجية للعلماء المسلمين تتحقق في مجالات سلمية : ومن أهم هذه المجالات كما سبق علوم الطب والجغرافيا وفنون العمارة وصناعة السفن ووسائل الزراعة والتجارة ، فضلاً عن العلوم الإنسانية على اختلافها .

صحيح أن علماء المسلمين قد طوروا أسلحة القتال وفنون الحرب عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال / ٨ / ٦٠) .

ولكنهم — فيما أعلم — لم يخترعوا سلاحاً أو أسلحة للإبادة الجماعية والتخريب وإهلاك الحرث والنسل وتعذيب الإنسان . وقد التزموا في الحرب نفسها بالقانون الأخلاقي الإسلامي في معاملة المحاربين والأسرى . وهذا القانون ليس أعدل القوانين فحسب ، بل هو أكثرها رحمة ورأفة بالأعداء ، ولا يمكن أن يقارن بقوانين الحرب الحديثة ، إذا كانت للحرب الحديثة قوانين .

٧ — تطبيق القرآن والإسلام : لم يتجه العلماء المسلمون إلى استعمال العلم في إنتاج المحرمات والخبائث ، وتشجيع الفواحش والمنكرات . فلم يتجهوا إلى إنشاء مصانع الخمر مثلاً « وهي المصانع التي تتكاثر اليوم في بلاد المسلمين ، وتمثل مظهراً خبيثاً من مظاهر الغزو الغربي للأخلاق للمسلمين في عقر دارهم » ، بل ولم يشجعوا استعمال الخمر كدواء في علاج الأمراض ، ونجد عالماً وطبيباً عظيماً وهو ابن النفيس : « الذي اكتشف الدورة الدموية قبل وليام هارفي » يشير عليه

بعض الناس في مرض موته أن يتناول شيئاً من الخمر ،
فيأبى ويقول : « لا ألقى الله تعالى وفي بطني شيء من
الخمر » (١) .

كما لم يستعمل أطباؤنا المسلمون طبهم في الإجهاض كما
هو شائع اليوم في الغرب ، وكما بدأ يشيع في بعض بلاد
المسلمين . فالإجهاض لغير ضرورة قصوى — مثل إنقاذ
الأم من الموت — ينطوي على قتل الجنين ، أى على قتل
النفس التي حرم ^{صلى الله} ^{عليه} ^{وسلم} قتلها بغير الحق .

كذلك لم يستعمل العلماء المسلمون علومهم لتشجيع
الزنا والفحشاء كما هو حادث اليوم بكل الوسائل
ولا سيما وسائل الإعلام ..

ولم يستعمل علماء المال في الإسلام علمهم لتشجيع
الاقتصاد القائم على الربا والاحتكار والاستغلال
وامتصاص ثروات الشعوب والأفراد .

(١) راجع د / غليونجي : ابن النفيس سلسلة أعلام العرب ٥٧ القاهرة
بلا تاريخ ص ٩٥ ، وعن أثر ابن النفيس في وليام هارف راجع
ص ظ ١٤٦ — ١٦١ .

رحم الله علماءنا المسلمين

٨ - من الخطأ - نتيجة لعيوب العلم الحديث التي أشرنا إليها - أن نرفض هذا العلم أو نحرمه أو نتخذ منه موقفاً متذبذباً فنقبله في الواقع ونلغنه بالكلام .. ولكن ينبغي أن نتأكد أن الخطأ ليس خطأ العلم الحديث في ذاته ، ولكنه خطأ الإنسان الحديث ، الذى يفهم العلم ذلك الفهم المادى ، ويستعمله ذلك الاستعمال المادى . فمن واجبتنا نحن المسلمين بدل أن نرفض هذا العلم أو نلغنه أن نصحح مفهومه وتطبيقاته ، ونكمله بمفهوم العلم في الإسلام وتطبيقاته ، كما سبق شرحه .

٩ - من الخطأ كذلك أن نفرض على القرآن الكريم نظريات علمية حديثة بدعوى أنها تؤيد صحة القرآن وأنه وحى من عند الله . فالأمر عندى هو العكس : إن كل ما فى القرآن حق : سواء اتفق معه العلم الحديث أم لم يتفق .

فالعلم الحديث يحتوى على نظريات متغيرة وقرآن

يحتوى على حقائق ثابتة . فإذا اتفق العلم الحديث مع القرآن (وهذا واقع الآن) فمعنى ذلك — فى رأى — أن العلم الحديث قد بدأ يسير فى الاتجاه الصحيح وهو الاتجاه القرآنى وليس معناه أن القرآن يسير فى اتجاه العلم الحديث ، فيصح بصحته ويتغير بتغيره ، ويفسد بفساده .

وإذا لم يتفق العلم الحديث مع القرآن « كما فى المعجزات مثلاً » فالقرآن حق ، والعلم الحديث ناقص أو قاصر أو باطل .

ولا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا .

فالعلم الحديث فيه حق نسبى ، وفيه حق وباطل .

وكل ما فى القرآن الكريم هو حق مطلق :
﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت / ٤ / ٤٢) .

والله ولى التوفيق

صدر من هذه السلسلة

- الدعوة إلى الله « الدعوة الفردية » .
- الإيمان ومتطلباته .
- الآفات العشرون .
- الأخوة في الله .
- الجريمة في الشريعة الإسلامية .
- الجهاد في سبيل الله .
- حياة العقيدة ورجالها .
- ظاهرة الغلو في التكفير .
- من آداب الإسلام .
- في التربية .
- الأسرة بين الشرع والقانون .
- الإسلام والعلم .

تعريف بالمركز :

- ١ - عرض الإسلام ونظامه الشامل الذي لا يتجزأ بأسلوب مبسط .
- ٢ - بيان حكم الإسلام في كافة مشكلات البشرية .
- ٣ - تقديم بحوث ودراسات إسلامية في كافة المسائل التي تهم العالم .
- ٤ - توفير المعلومات والأخبار المتعلقة بالعالم كله .
- ٥ - مواجهة الضلالات الزاحفة والأفكار المستوردة والنظريات المزيفة .
- ٦ - توجيه النصح إلى كافة المستويات .